الفصل الثامن عشر

لعب الايكرتيه

وبعدما فرغت من كلامها دخلت غرفة البلياردو ومعها كرتر وبركر والسيدة ارلنفورد التي تبعتها لتحول دون اتمام مرادها . وهمّ غودارد ايضاً بالدخول لكنّ ارلنفورد انتهز فرصة الكلام معهُ فاوقفهُ قائلاً لهُ : — انك ياغودارد صديق قديم لالس فاروم منك ان تشير عليها بان تكون الين عريكة مع السيدة دشتون

— يجب عليك ان تطرد هذه الخليعة من بيتك

— باي حقٍ تتعرض لما يتعلّق بي وحدي

— بحق القرابة والصداقة

— انظر ياغودارد لم يعد يمكنني الصبر . ويشقّ عليّ ان أراك تحبّ امرأة تعلى مسمع مني ومرأى ومأمنعك ان تراها بعد الآن

— أحبّها ؟ أنا — اه ياكلب الرجال ونذل الانذال . ولولا حرمتها وخوف تكديرها لاريتك عاقبة هذا الكلام في الحال ولكن ليس هنا مشهد الانتقام منك فقريباً نلتقي

وقد فاه بهذه الجملة الاخيرة على مسمع الآخرين فخرجوا على الفور من غرفة البلياردو . واسرعت السن للفصل بينهما وقالت :— ماذا حدث ؟ اراكما تخاصمان !

فاجابها غودارد :— لا . لا . بل هي محاورة طفيفة . وقال زوجها

— اختلفنا على شيء في لعبة الايكرتيه ومنفصلهُ الآن ان شئت ياغودارد - اني اراهنك على صحة قولي بمئة جنيه .

— قبلت وسنرى من منا هو المصيب

وجلسا على مائدة وظلّ البرنس يقلّب الصور ولم يخفَ عليهِ ماحدث وجلس كرتر وبركر يتحادثان والس بجانب النار وكتي على البيانو .

وما شرعا في اللعب حتى انسلّت املي من غرفة البيانو فنظر سكولوف الى ساعتهِ واذا هي احدى عشرة . وكان على غودارد ان يذهب بعد ربع ساعةٍ فدنت املي من ارلنفورد وامرّت اليهِ : — لقد عيل صبر البرنس سكولوف فهل اشرع في العمل ؟

— البسي القلادة

— اذاً تأخر الرسائل وتنال انت مطلوبك فطب نفساً وقرَّ عيناً

واذ ذاك اقترب البرنس سكولوف من السيدة ارلنفورد وقال

— أراك شاحبة اللون فعسى ان لاتكوني متألمة من مرض. وعندي انك تغادرين لندن طلباً للتنزه . وعلى اللورد ارلنفورد ان يذهب بكِ الى نيس .

وحينئذ دخلت املي وفي عنقها قلادة من الدر الفاخر تسطع كالنجوم الزواهر فلما رأتها السن اجفلت مذعورة واماسكولوف فقال بلهجة دلَّت على خلو ذهنهِ من هذه المسألة : —

— يالها من قلادةٍ نفيسة ! عفواً ايها السيدة املي فاني لم انظرها في عنقك قبلاً

— نعم انها جميلة الى الغاية وقد أُعطيتها هديةً

فالتفت غودارد ونظر الى القلادة . اما السن فباجهد استطاعت الجلوس على كرسيها . وسَّر غودارد الى ارلنفورد الجالس مقابلهُ على المائدة قائلاً :

— يالك من نذلٍ مهان

— اراك ظهير زوجتي فناضل عنها ان استطعت

فقالت املي لسكولوف : —

— تعال ايها البرنس وكن من جملة اللاهين بمشاهدة اللعب

ثم تقدمت نحو اللاعبين يتبعها المستر بركز واخوها كرتر . وفي اثناء ذلك اقتربت السن من المائدة وانحنت الى اسفلها والتقطت من تحتها احدى الاوراق التي لم يستعملها اللاعبان "جويزة الباتي" وكتبت عليها بمزيد السرعة ما معناهُ : —

"لم اعد استطيع البقاء في هذا البيت ساعة واحدة ولا بُدَّ من ذهابي معك"

وكانت املي دشتون تترقبها . أما السن فدنت من غودارد والقت الورقة التي كتبت عليها تلك الجملة في حضنهِ . فأخذها بخفة زائدة واخفاها غير عالم ان املي مترصدة كل حركة حدثت فاسرعت الى جهة ارلنفورد واطلعتهُ سرًّا على ما جرى فرفع نظره الى غودارد وسألهُ : ماذا اخفيت

— انا — انا ؟ لم افهم معناك

— اظهر الورقة التي معك . .

— ليس ذلك في امكاني

— هكذا ظننت

ثم القى من يدهِ ورقة الى يد املي دشتون باسرع من وميض البرق بحيث لم يتمكن احدٌ

من رؤيته ونشر بقية الاوراق على المائدة وقال

— انظر فإن ورقة " الروا " او (الربة) ليست معي

فصاح غودارد وهو يكاد يتميز غيظاً : —

— ماذا تعني بهذا

— اعني اني لا العب مع رجل خدّاع !

فنهض غودارد على قدميه وصرخ ضاغطاً صدغيه بيديه : — يا ويلاه !

ثم دخل رجل طاعن في السن عليه شارة العسكرية وهو الجنرال سافيل فقال : —

— كيف حالكم جميعاً ؟ بشراك يا غودارد فان الدوك اجاب طلبي من جهة ترقيتك وبعد رجوعك من سفرك تكون اركان الحرب

ثم لاحظ هذا الجنرال السكوت المستحوذ على الجميع والامتقاع العابث بوجوه اكثر الحاضرين فسأل : —

— ماذا عسى ان يكون ؟ ولمَ اراكم جميعاً سكوتاً ؟

فأعاد ارلنفورد جملتهُ الاخيرة وزاد عليها بعض الشيء قائلاً : —

— أعيد القول ان تصرّفك هذا لا يسمح لمن كان نظيري أن يلعب معك واطلب خروجك من بيتي في الحال

فصاح الجنرال سافيل : —

— ارلنفورد ! كيف تجاسرت على مثل هذا الكلام . زد في ايضاحاً والاّ فانت مختل العقل

— هاك الايضاح — ان القائد غودارد اخفى ورقة ليست لهُ وابى اظهارها وهي " روا السباقي "

— فَنِدْ يا غودارد كلامهُ وبيّن كذبهُ أجب في الحال

— انهُ محض افتراء

— فقال ارلنفورد : — اذاً ارنا الورقة

وصرخ الجنرال : —

— نعم اظهرها

— لا اقدر

ثم استولى على الجميع سكوت عميق اعترضهُ صوت سقوط وذلك ان السيدة ارلنفورد كانت في اثناء هذه الحادثة تجهد نفسها في التكلم فلم تستطع اليوم سبيلاً كأنّ كأمةً من حديد

وُضعت على فمها . ولمَّا تكلم غودارد كلمتهُ الاخيرة سقطت مغشيًّا عليها . فقال الجنرال بلسان الغيظ والحنق : —

— اعلم يا غودارد انهُ لم يبقَ لك سوى الاستقالة من الرسالة التي كنت مزمعًا ان تسير فيها وقد أفلتك مذ الآن . ولو كنت يا بنيَّ قاتلاً لكان ذلك ايسر عندي خطبًا مما شهرتَ فيهِ هذه الساعة !

ثم اشاح بوجههِ عنهُ واذ رأى سكولوف تقدَّم اليهِ . فصرخ غودارد

— يا تلفي ويا خرابي !

وخرج

وبعد ساعة ذهب سكولوف الى بيت املي دشتون واعطاها عشرة آلاف جنيه حوالة على بنك انكلترا

الفصل التاسع عشر

في مرقب سياسي

ان الحوادث السياسية التي بدأت عام ١٨٧٦ بلائحة الكونت اندراسي انتهت بمؤتمر الاستانة في شهر يناير عام ١٨٧٧ وفي اواسط هذا الشهر ذاع في عواصم اوربا خبر رفض الاقتراحات التي عُرِضت على الباب العالي في المؤتمر المذكور . وفي آخر مارس ارسلت الدول بلاغاتها الاخيرة الى جلالة السلطان وفي ٢٤ ابريل اضطربت اوربا اذ سمعت ان روسيا شهرت الحرب على تركيا وفي شهر اوغسطس — وقت عود قصتنا على بدء — أُنشئ مرقب روسيا السياسي في قرية دوه كوي في البلقان بين اسكي زهرة وادرنه واقام فيهِ البرنس سكولوف والشيطانة الجميلة يراقبان تجاري الحوادث السياسية

وقبل هذا الوقت باسابيع قليلة جاءت اليهما املي دشتون فانها عانت كثيرًا من ضروب المشاق والاتعاب في إخفاق مساعيها وخيبة آمالها بعدما فارقناها في لندن وقد طرأت اختلافات مهمة وتغيُّرات ذات شأن على حياة اكثر ممثلي هذه الرواية الذين اشتركوا في تمثيل ذلك الفصل في بيت ارلنفورد في تلك الليلة التي قضت على غودارد بالوقوع في الشرك الذي أُخفي لهُ

اما السيدة ارلنفورد فظلَّت اياماً طوالاً على فراش النزع تراوح بين الموت والحياة وكانت

في أثناء بحرانها وذهولها تهذي كثيرًا وتشير الى حادثة تلك الليلة الهائلة . ولما شفيت من الم هذه الضربة الثقيلة وثاب اليها رشادها كان غودارد قد اختفى اختفاء طمس عن العيون آثاره وقطع عن الآذان أخباره . ثم انتقلت السيدة ارلنفورد الى بيت امها حيث عملت كتي مدلتون على ملازمتها وتسليتها ووقفت منها على باطن تلك القصة واحاطت علمًا بكل ما يتعلق بها . فاخذتا تقلبان الافكار وتتبادلان الآراء في هذا الحادث الجلل . وبعد امعان النظر رأتا انهما اذا نشرتا حقائق هذه المسألة بين ظهراني القوم في غياب غودارد تعرّضتا لاتهام الناس اياهما بانهما اخترعتا ما كتبتاه اختراعًا لتبرئة من حاول ارلنفورد اتهامهُ بمحبة زوجته . وبناء عليه اجمعتا على التأني لعلهما تسمعان خبرًا عن غودارد فتدعواه الى مساعدتهما على تبرئة ساحته من التهم التي رماهُ بها اللورد ارلنفورد واملي دشتون واخوها الماجور كرتر

وقد انتهت مسألة لبس القلادة وما تبعها من حوادث تلك الليلة الى غاية تعذّر تعديها والتجت نتيجة لم يكن تلافيها ألا وهي طلاق اللورد ارلنفورد الذي تمّ بحكم غيابي عليه اذ لم يجب دعوة المحكمة بالحضور امتثالاً لاشارة املي دشتون . وبعد اختفاء غودارد لاحظ ارلنفورد ان الناس اخذوا ينظرون اليه في الاندية والمجتمعات العامة نظرات ابرد من رياح الاصقاع القطبية وابوا عليه التفوه باسم " غودارد " وخيبوا مساعيهُ في تذنيب ذلك القائد وتعظيم جنايته حتى ملّ الاقامة في لندن فهاجرها وخرج يجول في نيس ومونت كارلو . ولم تبطئ أملي دشتون ان لحقت به وقضت معهُ وقتًا لم تصب فيه عيشًا اغراها بالبقاء واطالة شقة المكث . ولهذا لم تلبث ان لبت دعوة البرنس سكولوف لها الى شبه جزيرة البلقان اذ توسمت في هذه الدعوة فرجًا تنشط به من عقال القنوط والفشل وتنسمت ريحًا مثقلةً باطياب الرجاء والامل . ولما بلغت المرقب السياسي اعلنت رغبتها في القيام بخدمة سكولوف وذكرتهُ ما لهُ عليها من سالف الفضل وسابق المعروف

وقد صاقب طلاق السيدة ارلنفورد وقت اقتران كتي مدلتون بدك سافيل . اما الانباء عن غودارد فكانت في الاول الامر قليلة جدًّا ثم انتشرت ملتبسةً مقلقة واخيرًا ذاعت ناعية محزنة فانهُ بعد خروجه من منزل ارلنفورد ذهب بالرسائل التي كان مندوبًا للسفر بها وسلمها الى رئيسه رافعًا اليه استقالتهُ من منصبه فحملها رسول آخر مع بريد الساعة العاشرة في صباح اليوم التالي ثم خلا في ذلك اليوم وقتًا طويلاً بالجنرال سافيل ولما خرج من لدنهُ كانت الدموع ملء عيني ذلك الشيخ الجليل أسفًا على سوء مصير غودارد . وقد اوضح اسفهُ هذا على مسمع كثيرين في احد الاندية بقوله : —

— مهما يكن من هذه الرزيئة الفادحة التي اصابت غودارد فاني لا انفك احبهُ واعجب بهِ اعجاباً لا مزيد عليهِ . نعم انهُ لم يطلعني على شيء من خفايا تلك الحادثة لكنني أُقسم لكم انهُ منقطع النظير في عزة النفس وطهارة الضمير . ولا بد اننا نقف يوماً على كنه هذا الحادث الجلل أما الآن فليس لنا غير الصبر وتوقع تحقيق الامل

وفي اليوم التالي سافر غودارد الى اميركا . وفيها شاع انهُ انتظم في سلك الخدمة العسكرية وشهد موقعة في الثورة التي نشبت حينئذٍ في داخليتها فاصابتهُ رصاصة اوردتهُ حتفهُ

ولنرجع الى تتبع حوادث قصتنا فنجد البرنس سكولوف جالساً في غرفتهِ الخاصة في مرقبهِ السيامي مكبًّا على مطالعة ما لديهِ من الرسائل وامامهُ خريطة يمعن نظرهُ فيها من وقت الى آخر . وعلى يساره كاتم اسراره ديمتري كيراتيف ينتظر فراغ رئيسهِ وانتباههُ اليهِ . فرفع سكولوف نظرهُ من الخريطة وخاطبهُ قائلاً : — هات ما عندك من الانباء

— ان السيدة دشتون حاولت هذا الصباح فتح كيس البريد بدعوى انها وضعت فيهِ رسالةً سهوًا . وقد فتحتهُ لها فلم يكن فيهِ شيء مما ادعتهُ . والبارونة التدروف بعثت الى سموكم برسالة مع رسولها الخاص قبل الفجر

— هل عرفت مضمونها ؟

— كلاَّ لاني لا اتعرض لما يرد منها او يصدر اليها

— هل راقبت رسولها عند رجوعهِ ؟

— نعم وقد سار في جهة اسكي زهرة

— أَلم يرجع بعد ؟

— كلا

— هل من شيء آخر

— كلفتني السيدة دشتون اهداء احترامها اليكم وطلب الاجتماع بكم متى شئتم

— اين هي الآن ؟

— خارجاً تتمشى في الرواق

— أُدعُها اليَّ حالاً

فخرج ديمتري يدعوها وفي غيابهِ قال للبرنس سكولوف في نفسهِ كأَنهُ يخاطب أَملي دشتون

— حقًّا يا أملي انك لاتستطيعين ان تملكي نفسك من الاستغراب لانك متشوقة جدًّا الى الاطلاع على اسباب دعوتي اياك من مونت كارلو الى هنا . فاحذري ! نعم ! احذري !

انك خادمة نشيطة . لكنك اصغر جداً من التسلط واستلام زمام الترأس . وقد حاولت الاطلاع على رسائلي ! فما هذا التشوز ! أ الى هذا الحد بلغت بك القحة والجرأة ؟

ثم استلقى على كرسيه واوغل في الضحك . ودخلت املي اذ ذاك فقالت :—

— ماذا ؟ على انفراد وفي سرور ؟ يالك من رجل سعيد!

— ان أُولي الحزم والدراية لا يتكلون على احد في شيء ولو كان مما يبعثهم على المسرة والانبساط .

— اصبت . ولكن هل انت واثق انك حرٌّ ومستقلٌّ بقدر ما تظنُّ ؟

— تلك دروس املاها عليَّ اساتذة التجربة والاختبار في مدرسة هذه الحياة .

— اراك نظيراً كثير طلبة هذه المدرسة الذين أُولعوا بدرس الآخرين فقضوا وقتهم فيه وشغلوا به عن درس انفسهم . فخلِّ عنك هذه التعللات الباطلة واتركها لحمقى نظيري

— هذا ما كان من قبيل سروري . فلننظر فيما يتعلق بك . يلذني انك ترومين الاجتماع بي

— نعم لاني لم ارتض بنتائج تلك الحادثة وقد وعدتني المساعدة وبناء على وعدك هذا اتممتُ ما اقترحتَ عليَّ اتمامهُ . ولم ارتب في ان السيدة ارلنفورد عندما تنظرني لابسةً القلادة تُقدم على فعل ما يُسبب عاقة غودارد وكان كما توقَّعت . لكنني لم انل شيئاً مما رجوتهُ ولا زدت اقتراباً مما عللت نفسي بالوصول اليه والحصول عليه . حتى شمت السعي ولم يعد لي طاقة على تحمل المشقة والنصب فجئتك التمس منك ان تفرج كربي وتهبني راحة من العناء والتعب

— واعجبا ! أيصحُّ في شرعك وقضائك ان أُوخذ بخطائك ؟ نعم اني اقترحتُ عليك السعي في عاقة غودارد واعدتُ اياك باحسن جزاء فاقدمت على عاقته فنجحت فنلت الجزاء مبلغاً فاحشاً أليس كذلك ؟ اذاً من اللورد ارلنفورد شكواك وعدم رضاك لا مني . قولي لي صريحاً ماذا وعدك ؟ مالك ساكتة لا تجيبين ؟ لكني اعلم . وعدك انهُ اذا امددته بالمال يطلِّق زوجتهُ او يكرهها على طلب الطلاق ويتزوجك . فقد انجز القسم الاول من وعده واخلف القسم الثاني

— كيف عرفت هذا ؟

— لم اعرفهُ من احد سواك . لكنك اخطأت في تعليل نفسك بهذه المطامع فكامرأة تكونين عنده مطلوبة محبوبة واما كزوجة فمكروهة ممقوتة

— او تظنني لتوغلي في معاناة مشاق هذه الحياة عدمتُ الشعور الى هذا الحد ؟ . كلا لست كذلك . ارعني سمعك . اني مغرمة بجاك ارلنفورد ولست اجهل نكد طالعه وسوء مصيره

ولعل هذا من اكبر البواعث التي حملتني على حبهِ . ولا يمكنني ان اصدق عدم اهتمامهِ بي، ولو لم تجر رياح الامور على خلاف مشتهاهُ لما تأخر عن ان يبرّ بوعدهِ . ولكن بعد الطلاق النوى القصد وساءت الاحوال حتى أُكره على مزايلة لندن فصحبتهُ الى نيس وهناك افلس ولم يعد في طاقتهِ ان يأتي حراكاً بلا مال والعياذ بالله من صغر الاناء وقرع الفناء

فاجابها باسماً : — اسمحي لي ان ابين لكِ انهُ لن ينجز وعدهُ مهما حسنت حالهُ

— كيف ؟ أمرادك انهُ لا يهتمُّ بي اهتماماً حقيقياً ؟ لو ظننت —

فاعترضها قائلا : — ان اللورد ارلنفورد ساع الآن في الاقتران بسيدة اميركية غنية وهي ابنة عم المستر بركز الذي اجتمعنا بهِ في تلك الليلة فلا يبالي بسوى المقامرة وسيكون ميلهُ اليكِ دائماً على قدر الدراهم التي تجمعينها لهُ . فاخبريني الآن بالمبلغ الضروري — لسعادتك ورفاهيتكِ واخدميني فيهِ بسعي صادق في سبيل الوقوف على بعض التفاصيل عن موت القائد غودارد لأن ذلك يهمني جداً

— غودارد ؟ اين آخر عهدنا بهِ ؟ مهلاً اين آخر عهدنا بهِ ؟ الآن تذكرت . بعد ما أُلمّت بهِ تلك الفضيحة سافر الى داكوتا في اميركا وهناك تجند في إخماد الثورة وقُتل اليس كذلك؟

— لكني اروم الوقوف على التفاصيل بجائزة حسنة فهل لي أن استعين بكِ على ذلك ؟ اني ارى تغييراً عظيماً في الشيطانة الجميلة فلم تعد تبالي بشيء ولم ادرِ السبب .

— قلت مرة " ان الشيطانة الجميلة لا تطلع احداً على ما تروم كتمهُ " وهذا هو جوابي الآن لك فاني امرأة عصبية المزاج شديدة التأثر و — هو ذا الشيطانة الجميلة خارجاً تتمشى ولعلها تروم الدخول . وقبل خروجي اقول لك اني مستعدة على الدوام ان ابذل جهدي في مساعدتك . فهل اذهب الآن ؟

— كلا

ثم نهض لملاقاة الشيطانة الجميلة وهو يقول في نفسهِ عنها :—

— من ذا يرى وجهها الجميل السائل برقة الملاحة ويصدّق انها صلبة يتعذر استمالتها؟ فقد قضيت الآن نحو سنة وانا اشبه بفراش حول لهيب جمالها الساحر وحسنها الباهي الباهر

— نعم انا — الكس دورسكي !